تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الإمام عمدة المؤرخين وعين المحدثين تقي الدين

أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥هـ

قدم له

عبدالقادر بن شيبة الحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية سابقًا
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

ⓒ عبدالقادر شيبة الحمد، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المقريزي، تقي الدين أحمد علي
تجريد التوحيد المفيد./ تقي الدين أحمد علي المقريزي.-
الرياض، ١٤٣١هـ
٦٤ ص، ١٤×٢١ سم
ردمك: ٤-٦٣٣١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١-التوحيد أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣١/٩٣٧٦
رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٣٧٦
ردمك: ٤-٦٣٣١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع الحقوق محفوظة

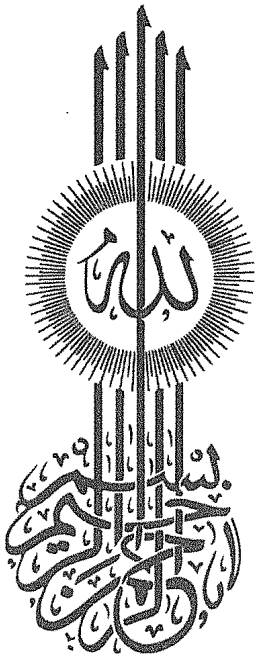
بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد أصل الدين، وأساس العبادة، به جاءت جميع الرسالات، وأول ما يدعو إليه المرسلون، ومن أجله خلق الله الجن والإنس.

ونقيضه الشرك بالله، وقد أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه: ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

والتوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة، وتخصيصه بالألوهية، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإقرار بربوبيته وملكه وحكمه، وأن يكون لله الأمرُ كما أن له الخلقَ.

ولخطر التوحيد وعظم شأنه، قد أكبّ العلماء قديماً وحديثًا على التأليف فيه وبيان أسسه وأركانه.

بيد أن كثيراً من الكتب التي أُلِّفت فيه، سلك أصحابها طريق أهل الجدل الكلامي، واقتصروا فيها على نوع من أنواع

التوحيد هو توحيد الربوبية، أعني الاعتراف برب واحد، يرزق ويخلق ويحيي ويميت. ولم يتعرضوا لتوحيد الألوهية، أعني توحيد العبادة، وإن يكن توحيد الربوبية هو الأساس لتوحيد الألوهية، فإن توحيد الربوبية قد أقرّ به المشركون ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ومع هذا لم ينفعهم هذا التوحيد؛ لأنهم اعترفوا بالله ولم يخصوه بالعبادة، التي هي توحيد الألوهية، على أنه كلّ من وَحَّد الألوهية فقد وَحَّد الربوبية، وليس كل من وَحَّد الربوبيةَ قد وَحَّد الألوهية.

لذلك كان الدين الخالص، والتوحيد الحق حريًا بأن يقوم بعض الأئمة المهديين بتحقيقه وتجريده.

وكان من بين ما أُلِّف من الكتب على هذا الطراز كتاب (تجريد التوحيد المفيد) للعلامة تقي الدين المقريزي.

وقد بسط فيه رحمه الله - وأسكنه الفردوس الأعلى- أنواع التوحيد، وبيَّن فيه شرك الأمم، وأنه نوعان: شرك في الألوهية، وشرك في الربوبية. وأوضح أحوال الناس في عبادة

الله تعالى والاستعانة به، وأن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقًا أربعة، فهم أربعة أصناف.

وقد بنى المؤلف هذا السفر الكريم على حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وسيجد طلاب الهدى، الخير والبرَّ في هذه الرسالة -إن شاء الله تعالى- فهي روضة دمثة يتفيئون ظلالها، ويجتنون ثمارها. والله وحده المستعان.

نسبه ومولده:

هو الشيخ الإمام تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبدالصمد المقريزي (وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة) أصله من بعلبك، ونشأ بالقاهرة - فهو مصري المولد والدار والوفاة - الإمام العالم البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين.

وقد ولد سنة ست وستين وسبع مئة من الهجرة؛ سنة ٧٦٦هـ.

نشأته وشيوخه وتلاميذه:

نشأ بالقاهرة، وتفقه على مذهب الحنفية ومذهب الشافعية، وله بعض الصلة بمذهب الحنابلة، فقد كان أبوه وجدّه لأبيه من فقهاء الحنابلة، وكان جدّه لأمه العلامة شمس الدين محمد ابن الصايغ حنفياً.

وقد سمع الكثير من البرهان النشاوري، والبرهان الآمدي، والسراج البلقيني، والحافظ زين الدين العراقي.

وسمع بمكة من ابن سكر وغيره، وقد أجازه الشيخ شهاب الدين الأذرعي، والجمال الأسنوي وغيرهما.

وقد تتلمذ له ابن تغربردي، وقال: قرأت على المقريزي كثيراً من مصنفاته، وكان يرجع إلى قولي فيما أذكر له من الصواب، وأجاز لي ما تجوّز له، وعنه روايته من مصنفات. وكلام ابن تغربردي هذا يدلنا على خلق فاضل يتخلق به المقريزي، وأنه كان رحمه الله رجّاعاً إلى الحق، يدور معه حيث دار.

علومه وفنونه:

كان علماً من الأعلام، حافظاً ضابطًا، مولعًا بالتاريخ، معظماً في الدول، وقد وُلّي حسبة القاهرة غير مرة، وعرض عليه قضاء دمشق فأبى، وكتب الكثير بخطه، وانتقى وحصل الفوائد، واشتهر ذكره في حياته وبعد موته، في التاريخ وغيره، حتى صار يضرب به المثل. وكان منقطعاً في داره، ملازماً للعبادة، قل أن يتردد لأحد إلا لضرورة.

مؤلفاته:

١ - (**إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع**) في ستة مجلدات. وهو كتاب نفيس جدًا، وقد طبع بالقاهرة طباعة أنيقة.

٢ - (**الخبر عن البشر**) ذكر فيه القبائل لأجل نسب النبي ﷺ، في أربع مجلدات، وعمل له مقدمة في مجلد.

٣ - (**اتعاظ الحنفاء، بأخبار الأئمة الخلفاء**).

٤ - (**السلوك في معرفة دول الملوك**) في عدة مجلدات، يشتمل على ذكر الحوادث إلى يوم موته. قال ابن تغربردي: وقد ذيلت عليه في حياة المصنف من سنة أربعين وثمان مئة وسميته: (حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور). ولم ألتزم فيه ترتيبه.

٥ - (**درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**) ذكر فيه من مات بعد مولده إلى يوم وفاته.

٦ - (**المواعظ والاعتبار، في ذكر الخطط والآثار**) في عدة مجلدات، وهو في غاية الحسن.

٧ - (مجمع الفرائد ومنبع الفوائد) كمل منه نحو الثلاثين مجلداً كالتذكرة.

٨ - (تجريد التوحيد المفيد) وهو هذا.

وله غير ذلك من المصنفات العديدة، النافعة المفيدة.

وفاته:

وتوفي يوم الخميس سادس عشر من شهر رمضان سنة ٨٤٥هـ، ودفن بالقاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد. فهذا كتاب جم الفوائد، بديع الفرايد، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة.

سميته (تجريد التوحيد المفيد)، والله أسأل العون على العمل به بمنّه وكرمه.

اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء ومالكه، وإلهه؛ فالرب مصدر ربَّ يربُّ ربًا فهو رابٌّ. فمعنى ربُّ العالمين رابُّ العالمين، فإن الربَّ سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفّل بصلاحهم من خلق ورزق وإصلاح ودين ودنيا.

والإلهية: كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً، ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل، ونحو هذه الأشياء. فإن التوحيد

حقيقته أن ترى الأمور كلَّها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى.

وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق، وترك لومهم، والرضا عن الله والتسليم لحكمه. وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى والعبادة والتأله من عباده له سبحانه، كما أن الرحمة هي الوسيلة بينهم وبينه سبحانه.

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدراً توحيد الله تعالى، غير أن التوحيد له قشران: أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله. ويسمى هذا القول توحيداً، وهو مناقض التثليث الذي يعتقده النصارى. وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سرّه جهره.

والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به.

وهذا هو توحيد عامة الناس.

ولباب التوحيد: أن يرى الأمور كلها لله تعالى، ثم يقطع الالتفات عن الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره.

ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى، فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

وإذا تأمّلت عرفت أن عابدالصنم لم يعبده، إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه، فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها باتباع الهوى، ويخرج عن هذا التوحيد السخط عن الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه، وهذا التوحيد مقام الصديقين.

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فلما سوّوا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين. كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يسوون به غيره. وقال تعالى:

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وقد علم الله سبحانه كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية، وأنه بإفراده تعالى وليًا وحكماً وربا. فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فلا ولي ولا حكم ولا ربَّ إلا الله الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحّد ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها.

وتوحيد الإلهية مَفْرق الطرق بين المؤمنين والكافرين والمشركين.

ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله. ولو قال: لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد.

ولهذا كان أصله الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذّ منهم، وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله وأنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كالله، هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى

والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون. ويحتجّ الرب سبحانه عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ فأبان سبحانه بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا توحيد الربوبية، على أن منهم من أشرك في الربوبية، كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية.

والملك: هو الآمر الناهي، لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيته، ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون، فإن الملك هو الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المثيب المعاقب.

ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة: الرب والملك والإله. فإنه لما قال:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم، فبقي أن يقال لما خلقهم: هل كلفهم وأمرهم ونهاهم؟ قيل: نعم. فجاء ملك الناس فأثبت الخلق والأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾. فلما قيل ذلك، قيل: فإذا كان رباً موجداً وملكاً مكلفا فهل يُحَب ويُرغب إليه ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر؟ قيل: إله الناس، أي مألوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلا إليه، فجاءت الإلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها.

وهاتان السورتان أعظم عوذة في القرآن، وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك؛ وهو حين سُحر النبي ﷺ وخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، وأقام على ذلك أربعين يوماً كما في الصحيح. وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية، فانحلت بكل آية عقدة، وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا، المرغوب إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه، من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه، ثم استحب التعلق

باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن اسمه الله تعالى هو الغاية للأسماء.

ولهذا كل اسم بعده لا يتعرف إلا به فتقول: الله، السلام، المؤمن، المهيمن؛ فالجلالة تعرِّف غيرها، وغيرها لا يعرِّفها.

والذين أشركوا به تعالى في الربوبية، منهم من أثبت معه خالقًا آخر، وإن لم يقولوا إله مكاف له، وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية. وربوبيته سبحانه للعالم الكاملة المطلقة تبطل أقوالهم؛ لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال، وحقيقة قدرية المجوسية أنه تعالى ليس ربًا لأفعال الحيوان، ولا تتناولها ربوبيته، إذ كيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه.

وشرك الأمم نوعان.

النوع الأول: شرك في الإلهية وشرك فى الربوبية.

فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبَّاد الأصنام، وعبَّاد الملائكة، وعبَّاد الجن، وعبَّاد المشايخ، وعبَّاد الصالحين الأحياء منهم والأموات الذين

قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة. والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته، والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبّح أهله، وتنص على أنهم أعداء الله، وجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى أُمة من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله.

وأصله الشرك في محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فأخبر سبحانه أن من أحب مع الله شيئًا غيره كما يحبه فقد اتخذه نداً من دونه.

وهذا على أصح القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله، وهذا هو العدل المذكور في قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾، والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة، فيسوّون بينه وبين غيره في الحب والعبادة. وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ